

## تذكار أبينا القديس الجليل مطروفانس رئيس أساقفة القسطنطينية



**القنடاق:** يا شفيعة المسيحيين غير الخائبة،  
الواسطة لدى الخالق غير المردودة، لا تعرضي  
عن أصوات طلباتنا نحن الخطاة، بل تداركنا  
بالمعونة بما أنك صالحنة، نحن الصارخين إليك  
يايمان، بادري إلى الشفاعة وأسرع في الطلبة  
يا والدة الإله المتشفعة دائماً بمكرميك.

«الله» بكونه (صالح) قيل عنه أنه (محب) (يو ١٠: ١٦، ١٨). والمحب لا تصنع شرًا للقريب (رو ١٠: ١٣)، بل تصبر ولا تنتقم قط هي في كلمة (تصنع الخير للجميع بكونك صورة الله)، عندئذ يقال: (المحبة هي تكميل ناموس) (رو ١٠: ١٣).

**القديس كليمينطوس الإسكندري**

- ويجب أن نعلم أيضًا أننا نحن سبب هذه الأسوأ. لأن الشرور غير الإرادية تأتي من شرور إرادية.

- ويجب أن نعلم مع ذلك أن عادة الكتاب أن يتكلم عن بعض الحوادث التي يجب أن تُدعى **اتفاقية** (١) كأن لها علة، كحين يقول: «إليك وحده

خطت وأمام عينيك صنعت الشر لكي

تعمل في كلامك وتغلب في قضائك» (مز ٥٠: ٦).

فلم يخطأ الخاطئ لكي يغلب الله، وليس في الله حاجة إلى خطيئتنا ليظهر منتصرًا. انه يتصر بلا منازعة على جميع البشر حتى على الذين لم يخطأوا، لأنه الخالق غير المدرك وغير المخلوق ولأن مجده طبيعي وليس حادثًا؛ ولكن بما انه، عندما يخطأ، لا يكون ظالمًا في غضبه؛ وحين يغفر لمن يتوبون إليه فهو يظهر نفسه غالبًا حيننا، فلا يخطأ لأجل ذلك، ولكن لأن الأمر يعرض هكذا، كحين ينصرف أحد إلى عمله ثم يأتي صديقه فيقول: صديقي أتى حتى لا أعمل اليوم، مع ان صديقه لم يأت لكي يتعطل هو، ولكن الأمر حدث هكذا، لأنه بانشغاله بقبوله صديقه كفى عن العمل. فهذه الأشياء تسمى اتفاقية لأنها تعرض هكذا، فلا يريد أن يكون هو وحده بارًا، بل يشاء أن جميع الناس يشاهدونه قدر المستطاع.

(١) الاتفاق يختلف عن القدر الذي يحده الآخذون به: انه ما يقدره الله من القضاء ويحكم به. وقد أورد الدمشقي تحديد الاتفاق فقال: هو تصادف علتين يكون مبداهما في الانتخاب فيأنيان بنتيجة غير التي تُنتظر بالطبيعة. كمثل من يحفر بئرًا فيجد فيها كنزًا. فليس الذي حبا الكنز كان قصده أن يقع عليه غيره، ولا الذي وجده حفر البئر ليجد الكنز. ولكن قصد الأول كان أن يعود إلى الكنز حين يشاء، وقصد الثاني أن يحفر، فحدث خلاف ما كان يتوقع الاثنان.



الرسول إلى الرومانيين «أم ليس ليخزف سلطانًا على الطين، أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان؟» (رو ١: ٩). فهو يصنع هذا وذلك، لأنه هو وحده باري الجميع. بيد أنه ليس هو الذي يصنع الحسنات والسيئات بل اختيار وحرية كل واحد. وهذا ظاهر من قول الرسول عينه لتلميذه تيموثاوس: «ولكن في بيت كبير ليس آية من ذهب وفضة فقط، بل من خشب وخزف أيضًا، وتلك للكرامة وهذه للهوان. فإن ظهر أحد نفسه من هذه، يكون إناءً للكرامة، مقدسًا، نافعًا للسيد، مُستعدًا لكل عمل صالح.» (٢ تي ٢: ٢٠ و ٢١). فمن الظاهر أن الواحد يظهر باختياره، لأنه يقول: إن صان أحد نفسه طاهرًا؛ وما يتبع منعكسًا، فهو الضد: إن كان أحد لا يصون نفسه طاهرًا فانه يكون إناء للهوان، غير أهل لاستعمال السيد بل حدير بأن يُحطّم. ولهذا فالكلام المورد وما يتبعه: «ان الله أغلق على الجميع في الكفر» وأيضًا: «أعطاهم الله روح كلال عيونًا لا يبصرون بها، وأدانتًا لا يسمعون بها» لا يجب أن يُفهم به ان الله هو نفسه فعل هذه الأشياء، بل ان الله قد سمح بها، لأن الخير حرّ غير مقسور فوجب إذن أن يكون الشرّ أيضًا. وتلك عادة الكتاب المقدس أن يتكلم عن سماح الله كأنه عمله وفعله. أضف إلى هذا قوله «ان الله خالق الشرّ» (أش ٤٥: ٧)، «أكون في المدينة شرّ ولم يفعله الرب» (عا ٣: ٦). فلا يريد أن يقول أن الله هو علة الشرّ بل يشير إلى أن كلمة شرّ لها معنيان: فمرة تعني ما هو شرّ من طبيعه، أي ما يضاد الفضيلة وإرادة الله، وتارة يعني ما هو شرّ وصعب على شعورنا كالأحزان والنواب. فهذه الأخيرة ولو ظهرت أنها شرّ لأنها مؤلمة، غير أنها جيدة في الحقيقة، لأنها تفيد ارتداد وخلص الذين يعرفون أن يستفيدوا منها؛ فالكتاب يقول أنها تأتي من الله.

بمسرة الله هو ما لا جدال في صلاحه. أما السماح فعلى أنواع: كثيراً ما يسمح الله بوقوع الصديق في الخنة، لكي يجلي للغير فضيلته المستترة، كما حدث لأيوب. وأحياناً يسمح أن يعمل ما هو حماقة لئيم بما يظهر حماقة أمراً عظيماً عجيباً، كما أتى بالصليب خلاص الناس. ومرة يسمح بعذاب القديس حتى لا يسقط من ضميره المستقيم، أو لكي لا يستكبر من قدرة النعمة التي مُنحها، كما حدث ليولس.

**الإرادتان:** يجب أن نعلم أن الله يريد بإرادة سابقة أن يخلص الناس بخلصون، ويجوزون ملكوته. لم يخلقنا الله لأجل العقاب، بل لنشارك جودته لأنه صالح. ثم انه يريد عقاب الخطاة لأنه عادل. فالإرادة الأولى تسمى إرادة سابقة ومسرة وهي تصدر منه، والثانية تسمى إرادة لاحقة ومماحاً ونحن الباعثون لها. وهذه الأخيرة مثناة: إحداها تديرية وتهديبية قصد الخلاص، والثانية رفضية لأجل العقاب التام، كما أسلفنا، وذلك ليس في مقدورنا.

**أ - الله لا يريد الشر لكنه يسمح به:** بين الأشياء التي في مقدرتنا، يريد الله الصالحة منها بإرادة وضمية، وهو يقرها. أما الطالحة والشريرة حقاً، فلا يريدنا بإرادة سابقة، ولا لاحقة، وإنما يسمح بها للإرادة الحرة. لأن ما يُعمل قسراً ليس معقولاً، ولا صالحاً.

**ب - المعرفة والانتخاب السابقان:** يجب أن نعلم أن الله سبق فعرف كل الأشياء، غير أنه ما سبق فحددها جميعاً. فهو يعلم سابقاً ما هو في مقدورنا، إلا أنه لا يحدده سابقاً. فلا يشاء أن يحدث الشر، ولا يقدر الفضيلة. ان سابق التحديد هو من شأن النظام الإلهي المضاف إلى المعرفة السابقة. انه يحدّد تحديداً سابقاً، حسب معرفته السابقة ما ليس في مقدورنا. وقد حدّد كل الأشياء حسب معرفته السابقة تحديداً يطابق جودته وعدله.

**ج - الله والشر:** اعلم أن من عادة الكتاب المقدس أن يسمي عملاً ما هو مجرد سماح من الله، كقول

للأب المحترم *Vermoni* عرض فيها صفة من تعاليم **ملفان الكنيسة الشرقية**. (ملفان: تعني «معلم» بالسريانية للدلالة على كبار رجال الدين واللاهوتيين).

**الخلق:** بما أن الله صالح وفاق الصلاح فما كان ليكتفي بمشاهدة نفسه، ولكنه بجودته العظيمة شاء أن توجد خلائق تشترك باحساناته وجودته، فأبرز من العدم إلى الوجود، وخلق جميع الأشياء، الغير المنظورة والمنظورة، والإنسان المركب من طبيعة منظورة، وطبيعة غير منظورة. ان الله يخلق بفكره: فهذا الفكر يؤلف العمل الذي يكتمله الكلمة، وينتهي الروح القدس.

**طبيعة العناية الإلهية:** هي اهتمام الله بالكائنات. أو هي إرادة الله التي بها تنال كل الكائنات إرشاداً ملائماً. فإن كانت إرادة الله هي العناية نفسها ينتج ضرورة ان كل ما يحدث هو مطابق للعقل الصحيح ويتم على أحسن وأنسب ما يكون، بحيث لا يمكن أن يكون أحسن مما هو عليه. انه من الضروري أن يكون خالق الأشياء هو نفسه المعني بها، لأنه لا يناسب ولا يُعقل أن يكون خالق الأشياء غير الذي يعني بها، وإلا فالثنتان كلاهما عاجزان، الواحد عن الخلق، والآخر عن العناية.

**يوجد برهانان: برهان أدبي وبرهان الميتافيزيكي.**  
**أ - البرهان الأدبي:** بما أن النفس خالدة، فلا بد من الجزء للأعمال الشريرة والصالحة وإذا كان جزء فلا بد من مدين ودائن. وإذا وُجد دائن ومدين، فلا بد من معتن وعناية. وهكذا نصل إلى العناية التي يسلم بها الجميع.

**ب - البرهان المنطقي:** ان الله يمارس العناية، ويمارسها على طريقة عجيبة، ويمكن تأمل ذلك هكذا: الله وحده صالح وحكيم من طبعه؛ فيما انه صالح، هو ذو عناية. لأن من لا عناية عنده لا يكون صالحاً، فالناس والحيوانات أنفسهم تعني بصغارها، وكلّ يوم الخالي من العناية. و بما انه حكيم فهو يعني جدّ العناية بالكائنات ليوجهها إلى ما فيه خير لها.

**العناية نوعان:** بين الأشياء الخاضعة للعناية بعضها يحدث بمسرة الله وبعضها بمجرد سماحه: فماذا يحدث

قُوّتي وتسبحتي الربّ ادياً أدبي الربّ

فصلٌ من رسالة القديس بولس الرسول الى اهل رومية (١٠: ١)

يا إخوة اذ قد بُرّنا بالإيمان فلنا سلامٌ مع الله برنا يسوع المسيح \* الذي به حصل أيضاً لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مُقيمون ومفتخرون في رجاء مجد الله \* وليس هذا فقط بل أيضاً نفتخر بالشدائد عالمين أن الشدّة تُنشئ الصبر \* والصبر يُنشئ الامتحان، والامتحان الرجاء \* والرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي أعطي لنا \* لأن المسيح اذ كنا بعد ضِعفاء مات في الأوان عن المنافقين \* ولا يكاد أحد يموت عن بارٍ. فلعلّ أحداً يُقدّم على أن يموت عن صالح \* أمّا الله فيدلّ على محبته لنا بأنه، اذ كُنّا خطاة بعد \* مات المسيح عنا. فبالأحرى كثيراً اذ قد بُرّنا بدمه نخلص به من الغضب \* لأنّا إذا كُنّا قد صولحنا مع الله بموت ابنه ونحن أعداء، فبالأحرى كثيراً نخلص بحياته ونحن مُصالحون.

فصلٌ شريف من بشارة القديس متى الإنجيلي البشير،

التلميذ الطاهر (متى ٦: ٢٢-٣٣)

**قال الرب:** سراج الجسد العين. فإن كانت عينك بسيطةً فجسدك كله يكون نيراً \* وإن كانت عينك شريرةً فجسدك كله يكون مظلمًا. واذا كان النور الذي فيك ظلامًا فالظلام كم يكون؟ \* لا يستطيع أحد أن يعبد ربين لأنّه، إما أن يُعصّ الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويرذل الآخر. لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال \* فلماذا أقول لكم لا تهتموا لأنفسكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون \* أليست النفس أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس؟ \* انظروا إلى طيور السماء فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الأهرار، وأبوكم السماوي يقوتها. أفلمستم أنتم أفضل منها؟ \* ومن منكم اذا اهتم بقدر أن يزيد على قامة ذراعاً واحدة؟ \* ولماذا تهتمون باللباس؟ اعتبروا زنايق الحقل كيف تنمو. إنها لا تتعب ولا تغزل. \* وأنا أقول لكم ان سليمان نفسه في كل مجده لم يلبس كواحدة منها \* فإذا كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم وفي غد يُطرح في التور يلبسه الله هكذا، أفلا يلبسكم بالأحرى أنتم يا قبلي الإيمان؟ \* فلا تهتموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس؟ \* فإن هذا كله تطلبه الأمم، لأن أيكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذا كله \* فاطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذا كله يُزاد لكم.

العناية الإلهية - من بحث للقديس يوحنا الدمشقي:

للقديس يوحنا الدمشقي كلام سديد على العناية الإلهية يبحث بحثاً شاملاً دقيقاً هذه المسألة المعضلة، التي طالما أغرت الفلاسفة واللاهوتيين. ولقد أحسن إمام اللاهوتيين المدرسين في بسطة القضية، عن سعة خاطر، وصدق نظر، بحيث لم يترك لمن بعده إلا أن يراعى آرائه ويترجم أفكاره. ونحن مترجمون خلاصة هذه القضية عن مجموعة